نجوى التمثال

انظر تمثال نهضة مصر على الغلاف

أيُّها المفترشُ الصخرةَ يشدّ ذراعيه أقوى الشدّ كأنما يريد أن يقتلع الصخرة فيهما، متناهضاً بصدره ليدلّ على أنه وإن رَبَضَ فان الوثبة في يديه، متمطياً بصلْبه ليُشير من جسمه الهادىء الى معانيه المفترسة، مُقْعِياً على ذَنَبه ومتحفزاً بسائره كأنه قوةُ اندفاع تَهُمُّ أن تنفلت من جاذبية الارض

وأنتِ أيتها الهيفاء تمثّل الانسانيةَ المتمدنة في نحاتها وهي كهذه الانسانية ضاربةٌ بذراعي أسدٍ في غِلَظ مِدْفعين .... حكيمةً في النظر كأنما تمدُّ في سرائر الأمم نظرة المتأمل، ولكنّ يدها كيد الحكمة السياسية على تركيبٍ عقليّ تحتهُ المخالب .... ساكنةً كأنها تمثال السلام، على أنها في جوار الاسد كالسلام بين الشعوب تلمح فيه إنسانَ العالَم ووحشَ العالَم ....

يا أبا الهول

أأنت جوابٌ عن ذلك اللغز القديم الذي هو كلامٌ لا يتكلم وسكوت لا يسكت، والذي أشار برأس الانسان على جسم الليث أنه قوة عمياء كالضرورة ولكنها مُبْصِرَة كالاختيار، والذي أخرج من فنّي الغريزة والعقل فنّاً ثالثاً لا يزال في الارض ينتظر المرأة التي تلد إنساناً عظامهُ من الحجر؟

وأنت يا مصر

أواقفةٌ تمتّ للشرح والتفسير تقولين للمصريّ إن أجدادك يسألونك من آلاف السنين بهذا الرمز: ألا معجزةٌ من القوة تحطّ عضلات الحجر؟ ألا بَسْطَةٌ من العلم تجعلك ايها المصري وكأنك رأسُ لجسم الطبيعة؟ ألا فنٌّ جديد ترفع به أبا الهول في الجو فتزيده على قوة الوحش وذكاء الانسان خفةَ الطير؟

أم تقولين للمصريّ إن أجدادك يُوصُونك بهذا الرمز أن تكون كالظهر الأسدي لا يُرْكَب مَطَاه، وكالرأس الانسانيّ لا تقيّد حريتُه، وكالربضة الجبلية لا تسهل إزاحتُها، وكالإبهام المركّب من غامضين متناقضين لا يتيسر به عبثُ العابث، وكالصراحة المجتمعة من عنصر واحد لا يغلط في حقيقتها أحد؟

أم تقولين يا مصر: إن تفسير أبي الهول الأول أن النهضة المصرية إنما تكون يوم تخرج البلاد من يصنع أبا الهول الثاني؟

***

تمثال النهضة أم صفحة من الحجر قد صوّر الشعبُ فكره عليها ودوّن فيها إحساسه بتاريخه ووصف بها إدراكه حياة المعاني السامية؟

أم هو كتابة فصل من التاريخ بقلم الحياة وعلى طريقةٍ من بلاغتها، خشيت عليه الفناء فدوّنته في أسلوب من أساليب البقاء الحجريّ الصلد؟

أم ذاك يومٌ من أيام الأمة أحاله الفن من زمن الى مادة ومن

معنى الى حسّ، ومن خبَر الى منظَر، وكانوا يتكلّمون عنه فجعله الفن يتكلم عن نفسه

أم هو تعبيرٌ عن تلك المعاني التي خلقتها نفوس هذا الجيل تخاطب به النفوس الآتية لتتمّ عليها وتضيف فيه الى المعنى سرّ المعنى وتضع الكلمة الانسانية على لسان الطبيعة تتكلم بالتمثال كما تتكلم بالجيل ؟

أم تركيبٌ سياسيٌ اذا فسّرته اللغة كان معناه أن الثابت اذا احتاج الى من يثبته .... فلن يمحوهُ من ينكره ، وأن الظاهر إن احتاج الى من يدل عليه .... فلن يخفيهُ من لا يراه ؟

***

بل أراكَ لا هول فيك يا أبا الهول الجديد . أفذاكَ من رقّة داخلتكَ ورحمة جاءتك من سرّ يد المرأة .... أم الهولُ اليوم قد أصبح في العقل والعاطفة ومدّ العين النسائية الى بعيد ...

أم لا يتم في هذه المدنية رأسُ رجل وجسمُ سَبُع إلا .... بأنامل امرأة ؟

ألاَ من يعلمني أهذه المرأة منك هي تهذيبٌ للانسان والوحش ام تكملةٌ عليهما

ألا من يأتيني بالحكمة فيك من وضع الرجل القوي رأساً ولا جسم، والأسد المفترس جسماً ولا رأس، ثم لا يكمل الا المرأة وحدها

إنما كنت يا أبا الهول لغز الصمت فلما أضيفت المرأة اليك أصبحت لغز النطق .... فيا للهول !

مصطفى صادق الرافعي